

## المحاضرة - 6 -

### عنوان المحاضرة:

The Arab region is at the heart of the Cold War

المنطقة العربية في قلب الحرب الباردة

First: The Yemeni problem

اولاً: المشكلة اليمنية

1- United States of America

١- الولايات المتحدة الأمريكية

2- In the Soviet Union

٢- في الاتحاد السوفيتي

Second: The Palestinian problem

ثانياً: المشكلة الفلسطينية

1- The 1967 war

١- حرب عام ١٩٦٧

## محتوى المحاضرة:

### المنطقة العربية في قلب الحرب الباردة

بالرغم من انشغال قطبي الحرب الباردة في المواجهة حول جنوب شرق اسيا والتي أخذت منحى المواجهة العسكرية المباشرة في فيتنام، إلا أن المنطقة العربية لم تغب عن اهتماماتهما إذ لم تكن في ضمن اهتماماتهما الأولى، لما تمثله من أهمية اقتصادية قصوى للغرب لوجود النفط، المحرك الأساس للحياة الاقتصادية والعسكرية في تلك الدول، وأهمية استراتيجية لموقعه الجغرافي المهم جداً لجميع الأطراف. لذا كان التنافس في هذه المنطقة من نوع آخر ابتعدت فيه المواجهة المباشرة عسكرية كانت أم سياسية فالحرب الباردة كان لها تأثيرها الواضح على الدول العربية والدول المجاورة لها وذلك من خلال تبني كل طرف من أطراف الحرب الباردة مجموعة من هذه الدول لتمدها بالمال والسلاح والمساعدات الاقتصادية، الأمر الذي أدى إلى تنامي روح الانقسام والعداء بين دول المنطقة.

واعتبر عام ١٩٥٨ من أبرز المراحل التي بدأت فيها تنامي المواجهة في الحرب الباردة على مسرح الشرق الأوسط. إذ شهدت المنطقة أحداث مهمة لم تكن تلك أطراف بعيدة عن التصدي لها وتحريكها، مثل قيام الوحدة المصرية السورية، والتي عدّها الغرب إنها موجهة ضد نفوذها في المنطقة وتبني خطأ مؤيداً للاتحاد السوفيتي. ثم جاءت الثورة العراقية في ١٤ تموز ١٩٥٨ بكل تفاعلاتها الدولية والإقليمية لاسيما الإنزال العسكري الغربي في كل من لبنان والأردن، والتهديد السوفيتي من خلال مناوراته العسكرية على الحدود مع تركيا، بعدها تأتي أحداث لبنان وتوابعها الإقليمية والدولية لذا عندما بدأ عقد الستينات من القرن الماضي كانت الدول الكبرى قد حددت أهدافها ورسمت سياساتها طبقاً للاستراتيجيات بعيدة المدى.

### أولاً: المشكلة اليمنية

اليمن كدولة لم تكن في حد ذاتها منطقة جذب تتنافس عليها القوى الإقليمية أو الدولية. فهي أكثر دول العالم تخلفاً وعزلة (في مرحلة البحث)، وكما وصفها أحد الكتاب (آخر دولة وشعب من العصور الوسطى)، كما أن أراضيها لا تمثل مصدراً للموارد الطبيعية. إلا إن أهميتها تكمن في موقعها الجغرافي المتمثل في قربها من حقول النفط في شبه الجزيرة العربية ومن القرن الأفريقي ذو الأهمية الاستراتيجية، كما أن اليمن تمثل المنطقة المسيطرة على عنق البحر الأحمر من خلال اطلالها على مضيق باب المندب والذي يمثل ممراً مائياً حيوياً لمختلف دول العالم.

فمن هذا المنطلق جاء الاهتمام الإقليمي والدولي بالحرب الأهلية في اليمن بعد انقلاب قاده عبدالله السلال في ايلول من عام ١٩٦٢ ضد الإمام بدر، والذي اعتبرته القوى الدولية الفرصة المناسبة للتدخل في هذه المنطقة كلّ لأهدافه، فضلاً عن كونه مثل اختبار قوة النفوذ لكل طرف في هذه البقعة الاستراتيجية. بعد مرور اسبوعين فقط على انقلاب السلال أرسلت مصر قواتها العسكرية إلى اليمن عن طريق الجو في بداية تورط مصري في الحرب الأهلية اليمنية كانت له أهداف مُعلنة منها الدفاع عن اليمن وثورتها ضد النفوذ الاستعماري وتماشياً مع المد القومي الثوري العربي.... الخ.

وهناك أهداف خفية تتعلق بارتباطات مصر مع المعسكر الشيوعي ورغبة القيادة المصرية بلعب دور الزعامة التاريخية العربية، فضلاً عن طبيعة العلاقات العربية التي كانت في تلك المرحلة من أكثر المراحل انقساماً بين الأقطار العربية لأسباب عديدة لاسيما بين مصر والسعودية فقد وصل أكثر من ٧٠ ألف جندي مصري لدعم قادة الانقلاب مستندة الى دعم دول تتشابه في ارتباطاتها الدولية مثل العراق وسوريا في الوقت الذي دعمت فيه المملكة العربية السعودية الإمام بدر ووفرت له الأوى والدعم المادي والسياسي.

## كيف تنظر أطراف الحرب الباردة إلى هذه الحرب؟

كانت تلك الأطراف تنظر إلى هذه الحرب من زاوية مصالحها الاستراتيجية :

### ١- الولايات المتحدة الأمريكية:

- أ. أهم ما يُفلق الإدارة الأمريكية هو تأمين النفط السعودي والذي يعتبر أي تهديد له إنما هو تهديد حقيقي للمصالح الأمريكية ولقوتها الاقتصادية والعسكرية، لذا فكان من أولى الأوليات لتلك الإدارة هي المحافظة على الاستقرار السياسي للعربية السعودية، وتأمين مناطق النفط وضمان تدفقه.
- ب. تأمين انسيابية المرور عبر البحر الأحمر للأغراض التجارية والعسكرية إذ إن البحر الأحمر يربط بين تواجد القوات البحرية الأمريكية في البحر المتوسط وقواتها في المحيط الهندي، كما إنه المنفذ لمرور ناقلات النفط والسفن التجارية الأخرى.
- ج. محاولة الولايات منع وتقليص النفوذ السوفيتي في المنطقة والذي ازداد نشاطه في هذه المرحلة، ولا سيما في مصر والعراق وسوريا.

### ٢- في الاتحاد السوفيتي:

- أ. الرغبة في تعزيز الوجود السوفيتي في المنطقة وكسب الأنظمة السياسية العربية المؤيدة للتغيير الثوري في اليمن، والتأكيد لتلك الأنظمة أن السوفيت حريصون على الوقوف مع حلفاءهم في مختلف الظروف.
- ب. يأتي التدخل السوفيتي في إطار المنافسة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر والتي تمر عبره غالبية المصالح الغربية، وأن التحكم في هذا المدخل يعني كسب جولة مهمة في الحرب الباردة.
- ج. دعم القوات المصرية والتي تدخلت بشكل مباشر في الحرب لاسيما أن تسليح تلك القوات هو سوفيتي، كما أن هذا الدعم يأتي في مواجهة العون الأمريكي للعربية السعودية ولقوات الإمام بدر.

لقد جاء الاعتراف المصري والسوفيتي في غضون ثلاثة أيام بعد الانقلاب. وعندها طالب القادة الجدد الاتحاد السوفيتي بتقديم الدعم في مواجهة القوى المدعومة غربياً، وكان رد خوروشوف على ذلك. أن أي تدخل في شؤون اليمن الداخلية لن يكون مقبولاً...." وخلال الشهر الأول من عام ١٩٦٣ وصلت أعداد كبيرة من المستشارين السوفيت إلى اليمن فيما أبدت القيادة السوفيتية استعدادها لدعم القوات المصرية.

أما الولايات المتحدة فلم تريد أن تعطي انطباعاً بأنها بعيدة عن هذه المنطقة الحساسة من العالم، فقد جرت مخاطبات حول الموضوع بين الرئيس كندي والرئيس عبدالناصر كانت من نتائجها اعتراف الولايات المتحدة بالنظام الجديد في اليمن في ١٩ كانون اول ١٩٦٢، وكان الهدف من هذا الاعتراف هو إيجاد نوع من التوازن مع التوجه السوفيتي المنفتح باتجاه التدخل القوي في الأزمة. كما هدف إلى إقناع المصريين بوقف التدخل العسكري في الشأن اليمني، فضلاً عن رغبة الولايات المتحدة بتقديم نقها كوسيط لإنهاء الأزمة، إلا أن أي من أهدافها تلك لم تتحقق.

وعندما حصل تصاعد في التدخل العسكري الأمريكي في فيتنام انعكس ذلك على الاهتمام الأمريكي في موضوع اليمن إذ اقتصر هذا الاهتمام على الدعم المتزايد للعربية السعودية التي دخلت في مواجهات عسكرية مباشرة مع مصر عندما قصفت القوات المصرية مدن سعودية في ٢٥ تشرين الثاني بحجة تواجد الملكيين (أنصار بدر) فيها، وقبيل اغتياله أكد كندي تصميم الولايات المتحدة على الدفاع عن السعودية وسلامتها الداخلية وتأكيداً على ذلك أرسلت الولايات المتحدة سرب من الطائرات الأمريكية المقاتلة إلى الرياض في دلالة واضحة على الدعم الأمريكي، كما أرسلت مدمرة أمريكية إلى ميناء جدة في ٢٥ كانون الثاني ١٩٦٢.

في المقابل ازداد التدخل السوفيتي في الحرب من خلال الدعم المادي المباشر للقوات المصرية واليمنية، فضلاً عن الدعم السياسي للحكومة اليمنية. إذ استقبلت موسكو السلال في آذار عام ١٩٦٤ واستقبل فيها استقبالاً حافلاً طوال (١٥) يوم.

كانت الحرب سجلاً بين الملكيين والجمهوريين، ففي صيف عام ١٩٦٤ شنَّ الجمهوريون بمعاونة (٥٠) ألف جندي مصري هجوماً شاملاً على خصومهم وأجبروهم على التراجع، إلا أن عام ١٩٦٥ شهد نجاحاً عسكرياً للملكيين مساعدة مباشرة من العربية السعودية.

بعد هزيمة مصر في حرب حزيران ١٩٦٧ مع إسرائيل انسحبت القوات المصرية، الأمر الذي دعا السوفيت إلى تقديم الدعم مباشرة للقوات اليمنية لاسيما في أثناء حصار الملكيين للعاصمة صنعاء والذي استمر سبعين يوماً. إلا أن هذا الحصار فشل في اسقاط العاصمة الأمر الذي أدى إلى مزيد من التفاوض والحوار والذي أنهى الحرب عام ١٩٧٠ عندما اعترفت العربية السعودية بالجمهورية العربية اليمنية وإنهاء دعمها للملكيين.

يمكن أن نسجل ملاحظتين في خصوص الحرب في اليمن وأثرها في العلاقات الدولية:

أ- ان التنافس فيها لم يقتصر على الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بشكل مباشر أو من خلال حلفائهما، وإنما دخلت الصين على خط المنافسة التي كانت علاقاتها قد توترت مع الاتحاد السوفيتي، وذلك بهدف إيجاد دور لها في اللعبة الدولية (الحرب الباردة). فقد دعمت الصين الجمهوريين وكان دعمها مقتصر على مجال الصناعة وطرق المواصلات، ويشير أحد المراقبين ان جو التوتر كان يسود بين المستشارين الصينيين والسوفييت في صنعاء.

ب- فشل الأمم المتحدة في إنهاء الحرب ذلك بالرغم من النشاط الذي قام به الأمين (العام يوثانت) لإقناع الأطراف المتصارعة في إيجاد حل للأزمة، ويأتي هذا الفشل كون المنظمة الدولية كانت غير فعالة في حل الأزمات الدولية نتيجة تسيّد أجواء الحرب الباردة على العالم والتي حدّت من نشاط المنظمة.

## ثانياً: المشكلة الفلسطينية:

### ١- حرب عام ١٩٦٧

عدت الولايات المتحدة اسرائيل قاعدتها المتقدمة والمضمونة في المنطقة والتي تسمح لها بالتدخل والتحرك والضغط على الأطراف الأخرى وفقاً لمخطط محكم يقوم على بناء القوة المسلحة الاسرائيلية بشكل مدروس لتكون متفوقة على القوى العربية مجتمعة.

وابتداءً من عام ١٩٦٠ أخذ التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل يأخذ طابعاً تصاعدياً. فقد أوعزت الولايات المتحدة إلى المانيا الغربية بفتح مجالات الدعم الاقتصادي والعسكري لإسرائيل. وبموجب اتفاق جرى بين الحكومة الألمانية والاسرائيلية فقد تسلمت الأخيرة إضافة إلى مُنح مالية (كتعويضات عن اضطهاد اليهود أبان الحرب العالمية الثانية) أنواع مختلفة من الأسلحة كالدبابات التي وصلت أعدادها حتى عام ١٩٦٥ إلى (٢٠٠) دبابة.

إلا إن الاحتجاجات العربية والتي قادتها مصر هددت بقطع العلاقات مع المانيا الغربية والاعتراف بألمانيا الشرقية من قبل جميع الدول العربية، أدى ذلك إلى تراجع المانيا عن دعمها المباشر والمعلن ليتحول إلى دعم أمريكي مباشر دون وسيط، إذ أعلن الرئيس الأمريكي جونسون عن تزويد اسرائيل بأسلحة دفاعية وهجومية كصواريخ أرض - جو و أرض - أرض، ثم أعلن عن بدء التعاون النووي بين الطرفين بحجة استخدام الطاقة النووية لتحلية مياه البحر.

أما السوفييت فكان دعمهم معروف مصر عسكرياً واقتصادياً، ثم بدأوا بدعم سوريا بشكل متصاعد منذ عام ١٩٦٦. إذ وصلت قيمة المساعدات السوفيتية لسوريا إلى ٢٥٠ مليون دولار ومن الدول الشرقية ١٧٨ مليون دولار على شكل مساعدات اقتصادية وعسكرية. إلا أن الموقف السوفيتي بدا متناقضاً في تعاطيه مع مشاكل المنطقة واتسم موقفه بعدم الوضوح، ففي الوقت الذي كانت تدعم فيه عبدالناصر كانت تتعاطف مع عبدالكريم قاسم والذي دخل في عداء مُعلن مع الحكومة المصرية، كما أن السوفييت رحبوا بالانفصال بين مصر وسوريا عام ١٩٦١، ثم عادت وقدمت دعماً مباشراً وكبيراً لمصر في حرب اليمن.

وهذا يعطينا انطباع أن المصلحة الأنية وليست الاستراتيجية هي التي تحدد السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي، فضلاً عن حالة عدم الاستقرار السياسي الداخلي بسبب التغيرات المستمرة في قمة الهرم السياسي السوفيتي نتيجة للصراع بين قيادات الحزب الشيوعي السوفيتي. يقابله استقرار في النظام السياسي الأمريكي ووضوح في المؤسسات والإدارات المتخصصة التي تتخذ القرارات الخارجية وفق دراسات معمقة واستراتيجية للمواقف والخطوات التي تخطوها مع خضوع تلك المؤسسات والإدارات للرقابة التشريعية والتنفيذية العليا. لذا نرى القرارات الأمريكية تكون لها أبعاد استراتيجية بعيدة المدى، كما أن تلك القرارات تتسم بالبرغماتية إذ تخضع السياسات والقرارات للمراجعة والتدقيق لتصحيحها وتعديلها طبقاً للمصالح الأمريكية.

كان الهدوء على جبهات القتال بين العرب و اسرائيل الذي كان سائداً منذ انتهاء العدوان الثلاثي قد بدا بالانحسار ابتداءً من نيسان عام ١٩٦٢ عندما حصل تصادم محدود حول بحيرة طبرية في سوريا، وقد أدان مجلس الأمن اسرائيل في هذا الصدام العسكري. وفي آب عام ١٩٦٣ قتل عدد من الاسرائيليين في المنطقة العازلة بين سوريا واسرائيل، وحال الفيتو السوفيتي من اتخاذ قرار يُدين سوريا الأمر الذي أعطى مبرراً للقوات الإسرائيلية باتباع (سياسة الانتقام) من خلال الاغارة على المواقع السورية. ومع يأس الفلسطينيين من قدرة العرب على إرجاع أراضيهم قرروا تنظيم أنفسهم في حركة سياسية - عسكرية مستقلة تعمل على تحرير الأرض بأسلوب العمل الفدائي، وذلك ابتداءً من عام ١٩٦٥.

ثم تصاعد الموقف بين جميع الأطراف مع بدء اسرائيل بتنفيذ مخططاتها في تحويل نهر الأردن إلى مستعمراتها، اذ قررت سوريا بدء العمل بمحاولات مماثلة لتحويل مجرى مياه نهر الأردن بالاتجاه المعاكس، إلا أن إسرائيل ردت بالمزيد من الغارات التي تشن على مواقع المشروع السوري والتي شلت العمل فيه تقريباً.

واعتباراً من عام ١٩٦٥ تزايد العمل الفدائي ضد اسرائيل واصبح اكثر تنظيم واثد إيلاماً للكيان الاسرائيلي فقد تم قطع سكة حديد تربط القدس مع تل أبيب وتفجير ملعب بإحدى المستعمرات قتل فيه عدد من المستوطنين، وقدرت عدد غارات المقاومة الفلسطينية خلال عام ١٩٦٥-١٩٦٦ ب (٧٠) غارة، بالمقابل شنت القوات الاسرائيلية غارات على الحدود مع سوريا بحجة ضرب قواعد الفدائيين، كما اجتازت تلك القوات الحدود الأردنية ودمرت محطات ضخ المياه وذلك في ايلول من عام ١٩٦٥.

في صيف عام ١٩٦٦ استمرت الغارات الاسرائيلية على سوريا وازداد التوتر في المنطقة، الأمر الذي أدى إلى تقديم كل من بريطانيا والولايات المتحدة مشروع قرار إلى مجلس الأمن يدعو جميع الأطراف إلى الامتناع عن استخدام القوة. لقد اعلنت جميع الأطراف أنها تعمل على منع حصول حرب شاملة في المنطقة، وكان الاتحاد السوفيتي من اكثر الاطراف حرصاً على عدم حصول مثل هذه الحرب وذلك انطلاقاً من اعتباره ان أي نتيجة لهذه الحرب هي خسارة له. ففي حالة انتصار العرب في الحرب سيعني ذلك تدخل امريكي مباشر في المنطقة لأهمية اسرائيل في الاستراتيجية الاقليمية وفي حالة انتصار اسرائيل فان ذلك يعني تحطيم لهيبة وسمعة السوفيت لدى الدول العربية كونه لا يجرؤ بالدخول مباشرة في مثل هذه الحرب لصالح العرب.

أما الولايات المتحدة فأنها كانت متورطة في حرب فيتنام وغير مستعدة للقتال في اكثر من جبهة، إلا أنها في الوقت ذاته كانت مطمئنة للقوة الاسرائيلية التي بنتها هي بنفسها وفق تخطيط دقيق وبشكل يضمن التفوق العسكري الاسرائيلي على العرب.

وبالرغم من رغبة الجميع (المعلنة) بعدم التصعيد إلا أن احتمالات الحرب كانت في تصاعد مضطرب. في نيسان من عام ١٩٦٧ دارت معارك جوية بين الطائرات السورية الاسرائيلية وهو الامر الذي عد نقطة تحول الرئيسية في المواجهة العسكرية.

وفي الوقت نفسه ابلغت سوريا المصريين بوجود حشود عسكرية اسرائيلية على الحدود السورية مما اعتبروه مقدمة لاجتياح اسرائيلي للأراضي السورية، واكد السوفيت الخبر عندما ابلغوا مصر ان الحشود موجودة فعلاً. إلا أن الغريب في الامر ان دلائل كثيرة كانت تشير إلى أن هذه الحشود العسكرية الإسرائيلية، أما انها لم تكن موجودة او انها كانت مجرد مناورة اسرائيلية بإظهار الحشود وسحبها بهدف جر مصر والدول العربية الى الحرب انطلاقاً من دراسة معمقة للقدرات المصرية التي لم تكن مستعدة لخوض مواجهة عسكرية شاملة ولم تخطط لها أصلاً، في الوقت الذي استعدت فيه القوات الإسرائيلية.

ومن تلك الدلائل :

أ- أنكار اسرائيل لوجود مثل هذه الحشود وطلبت من السفير السوفيتي التوجه إلى الجبهة للتأكد من ذلك إلا أنه لم يفعل.

ب- المخابرات المصرية ذهبت إلى المنطقة للتحقيق وأكدت عدم وجود أي حشوه عسكرية.

ج- يشكك المحللون في أن السوفيت ارادوا تصعيد الموقف ولكن ليس بالحد الذي تؤدي إلى نشوب حرب، وذلك يتعلق برغبتهم بتعميق نفوذهم في المنطقة العربية اعتبار الصراع ضد اسرائيل يجلب لأصحابه الشعبية والتأييد.

د- ان القيادة المصرية كانت تحت ضغط جماهيري عربي، ولاسيما انها تحتمي وراء القوات الدولية الموجودة على خط المواجهة وانها لم تتخذ موقفا من التجاوزات الاسرائيلية على الأردن وسوريا، لذا فأنها تحت هذه الضغوط والمشاعر الحماسية صدقت قضية الحشود ولم تنتبه الى تكذيب هذه الأخبار وذهبت في التصعيد إلى أبعد مدى.

وتأتي المرحلة الأكثر دارميتيكية عندما تطلب مصر على لسان رئيس اركان الجيش محمود فوزي من القوات الدولية بالانسحاب إلى منطقة خان يونس ورفح خشبة تصاعد المواجهة، وكان الأمر بالنسبة للمصريين هو استعراض للقوة دون حساب العواقب يؤكد ذلك الكيفية الاستعراضية التي ارسلت فيها القوات عبر شوارع القاهرة.

أما يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة فقد خَبرَ الحكومة المصرية بين إبقاء القوات في أماكنها أو يسحبها نهائياً. لقد كان قرار يوثانت قانونياً على الرغم من التَقولات التي تعرض لها (يوثانت) قبل الحرب وبعدها كونه ينفذ سياسة أمريكية أو أنه مؤيد لإسرائيل، إذ إن انشاء قوات الطوارئ الدولية يتضمن شرط ملزم وهو موافقة وتعاون الدول المستفيدة من تواجد القوات على أراضيها الأمر الذي انتفى بطلب مصر انسحاب القوات والذي جاء في ٨ مايس ١٩٦٧.

وطبقاً لمناورة سياسة أمريكية - اسرائيلية اقنعت بموجبها السوفيت بالتوسط لدى مصر بعدم البدء في الحرب، فقد أعلن الرئيس عبد الناصر إنه لم يكون البادئ في الحرب بالرغم من أن قواته أصبحت مكشوفة أمام الآلة العسكرية الهائلة للقوات الإسرائيلية.

وفي خطوة غير مدروسة في المكان والتوقيت ولم تكن في صالح مصر على الصعيد الدولي أغلقت مصر مضائق تيران في وجه الملاحة الإسرائيلية أو المتوجة إليها، الأمر الذي واجه انتقادات شديدة من عدد من دول العالم فضلاً عن كسب إسرائيل لتعاطف تلك الدول.

لقد دارت رحى الحرب ابتداءً من ٥ حزيران وانتهت بهزيمة كبيرة للعرب في حرب خاطفة وسريعة حققت فيها إسرائيل مدعومة بقوة من الولايات المتحدة كامل أهدافها في المنطقة وخسرت الدول العربية أراضٍ مهمة جداً.